

بأنه نبي لانه فلق البحر ، وحول العصا الى حية تسعى ، وحول ماء النيل الى دم وغمر مصر بالضفادع والقمل . . الخ ، فاذا قال معترض ، وماهو الدليل على أن موسى فلق البحر وأنه حول العصا الى ثعبان ؟ الرد أن هكذا قال سادتنا الاقدمون ، فاذا قال قائل ، ولكن الاقدمين قالوا الكثير مما لايقره العقل ، ولا يوءيده الواقع فالتجربة العملية تثبت أن البحر لاينقسم بمجرد ضربة عصا وأن العصا الخشبية لا تتحول الى حية تسعى ، لايكاد هذا الانكار يقوم حتى تسقط المعجزة التي قامت عليها العقيدة من أن موسى نبي الله ، فالاديان كلها تقوم على وجوب التسليم بأن ما ترويه كتبها من وقوع معجزات هو حق لايقبل الجدل أو الشك . أما الاسلام فهو يعلن أن لا معجزة خارقة له سوى القرآن ، والقرآن كلام عربي يفهمه كل ناطق بالعربية وهو مبسوط ومنشور ، وفي متناول يد كل انسان ، وهو بحمل في ذاته ، ووجوده معجزته ثم قال :

فهذا كتاب تناقله البشر من فم سيدنا محمد عندما نطق به لأول مرة منذ نحو الف وأربعمائة سنة ، ومع ذلك منها فيها نحن لا نزال بكل علومنا وثقافتنا وتجارب البشرية ، ندور في فلكه ، وتتأثر بكلماته بل بحروفه ، ونستنطق آياته ، لنخرج منها في كل جيل وفي كل عصر معان جديدة تنير لنا الحياة ، وتهدينا سواء السبيل ، فأى اعجاز بعد هذا الاعجاز ، أن يعيش كتاب بنص واحد لا خلاف على كلماته ، بل لا خلاف جدى على عدد حروفه ، طوال أربعة عشر قرنا ، ولا يزال يوءثر في نفوس سامعية أو قارئيه بنفس القوة التي أثر بها على من سمعه لأول مرة .

ان التجربة تثبت أن كل كتاب يفيد فاعليته بعد قدر من السنين ، بل وقد يندرس ويصبح أثرا بعد عين ، ومن هنا فان العقل البشرى ، عندما يسجل ظاهرة انفراد القرآن بالمحافظة على كيانه ، من بين سائر ما عرفت البشرية من كتب ، يجد نفسه مضطرا للاعتراف أنه أمام سر غير قابل للتعليل ، وهذا هو الاعجاز ، ثم يضاعف في قوة هذا الاعجاز عندما يعرف الانسان أن القرآن قد وعد بذلك منذ اللحظة الاولى ، وأشهر السموات والارض على أن ذلك سيكون : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

وهكذا يكون بقاء القرآن معجزة من ناحيتين ، من ناحية ظاهرة المحافظة نفسها ، ومن ناحية تحقق ما انطوى عليه من نبوءة بها الحفظ .

القرآن يحدد نوع معجزة سيدنا محمد

ولم يدع القرآن الكريم نوعية معجزة سيدنا محمد وأنها عقلية بحتة ، لتكون محل حدس أو تخمين ، بل لقد قررها في صراحة وأكدها وعمقها لتستقر في نفوس المؤمنين بالقرآن والاسلام ، فكان من بين ما قال تصويرا لذلك :

(ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس الا كفورا . وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فنفجر